السفارات المتبادلة بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (ق13–14م)

سالم عطية
أستاذة دكتورالية –قسم العلوم الإنسانية–
جامعة معسكر

ABSTRACT.
The Embassies between ziyanids and Mirinides during (7-8 ah) (13-14 AD

This study aimed to investigate the embassies between ziyanids and mirinides during (7-8 ah) (13-14 AD This article will try to clarify the reasons behind establishing those embassies, and what were the results, Also The role of scientists and jurists at the embassy, these embassies effects on the relations with the ziyanids in the establishing of good relation and between mirinids and particularly in the activation of cultural life .

مقدمة:

شهدت بلاد المغرب الإسلامي منذ مطلع القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي، تداعي الدولة الموحدية مما أدى إلى انقسام المغرب الإسلامي إلى ثلاث دويلات: الدولة المرينية في المغرب الأقصى، والدولة الزيانية في المغرب الأوسط، والدولة الحفصية في تونس، و كانت الحروب سجالا بين هذه الدول، لهذا كان لزاما إيجاد وسيلة للحوار بين هذه الدول من أجل نبذ الحروب وعقد المعاهدات .

ولما كانت السفارات لسان حال السلاطين في تلك الفترة، فقد اعتبر السفير حلقة الوصل لتحقيق أهدافهم ، ولذلك كان يتعين على السلاطين اختيار الشخصيات التي تتوسم فهم المرهلات اللازمة حتى يكونوا أقدر على التأثير ، وأبلغ في التعبير عن مضمون السفارة ولعل في مقدمة هذه المؤهلات صفتي العلم والحكمة والجرأة والوقار[1] و "أن تكون صولاته رائعة المنظر، كامل المخبر، صحيح العقل، حاضر البديهة، ذكي الفطنة، فصيح اللهجة، جيد العبارة، ظاهر النصيحة، موثوق بدينه وأمانته، مجربا منه حسن الاستماع والتأدية، كتوما للأسرار، عفيفا عن الأطماع، غير منهمك في الهوامش والسكر والشرب"[2].وغيرها من المؤهلات التي تستوجب توفرها في السفير[3].

1–السفارات المتبادلة البدايات الأولى.

تميزت العلاقات الزيانية المرينية بالنزاع المستحكم بين الطرفين، ويعود السبب الرئيس إلى أن كل منهما كان يعد نفسه الوريث الشرعي للموحدين [4] إضافة إلى التنافس من أجل رئاسة زناتة، وقد زاد من توتر العلاقات بين الطرفين هو التحالف الزياني الموحدي الذي جمع يغمراسن مع الخليفة الرشيد [5] وتبادلهما ال سفارات والهدايا، ومن بعدها عقد **يغمراسن معاهدة نصرة مع الخليفة أبو دبوس [6]ضد بني مرين، وهو الأمر الذي لم يرضي الطرف المريني**

وكذلك الحفصي، مما حول هذه المنافسة إلى صارع سياسي وعسكري دام سنين طويلة غذته الضغائن والرغبة اللامتناهية في تحقيق الريادة وبسط النفوذ[7].

كانت أول سفارة بين الدولتين تعود إلى عام 670هـ/1272م تاريخ هذه السفارة إلى ما بعد هزيمة الزيانيين في معركة واد تلاغ [8] التي تكبد فيها خسائر كبيرة مع المرينيين، وعلى إثرها حاول يغمراسن معاودة منازلة المرينيين فأعد جيشا، وقد علم السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق[9] بذلك فارتحل للقائه بجيشه عندما وصل إلى أنكاد[10]، وفي تلك الأثناء وافته رسل ابن الأحمر تطلب منه شد أزر المسلمين في الأندلس [11]فرأى يعقوب أن ينتهز الفرصة ليصالح يغمراسن ليأمن جانبه ،[12]فأرسل إليه وفدا يتكون من شيخ من كل قبيلة من قبائل العرب يدعون يغمراسن إلى الصلح، لكن يغمراسن الذي لم تجف دموعه بعد حزنا على ولده عمر فتعنت ورفض الصلح وأساء القول لرسل السلطان المريني قائلا:" لا صلح بيني وبينه ولو بلغت حربه الردى، وقد قتل ولدي قرة عيني وولي عهدي، أصالح وأهدر دمه والله لا كان هذا أبدا، ولا اترك دم ولدي يمضي سُداً حتى أخذ منه الثأر وأضيق بلاده التباري[13] وكتب إليه قائلا:

فَلَا صُلْحٌ حَتى نُرَوِّيَ السَّيْفَ وَالْقَنَا وَتَأْخُذُ عَبْدَ الواد مِنْكُمْ بِثارِهَا
وَأَشْقَى غَلِيلَي مَنْ مَزِّينَ الَّتِي طَغَتْ بِسَبِّي غوانِيهَا وَقُتِلَ خِيَارَهَا[14].

نتيجة لفشل السفارة التي أرسلها السلطان أبو يعقوب، ترك شأن الأندلس وسار نحو تلمسان لقتال يغمراسن فخرج إليه هذا الأخير في قومه وحلفائه من مغراوة[15] والعرب والتقى الجمعان في منطقة إيسلي قرب وجدة في 15 رجب 670هـ/ 1272م[16]،
انتصر فيها المرينيين على يغمراسن وفر من محلته بعدما أضرمت فيها النيران وقتل لولده أبي عنان فارس وفيها حطم المرينيون مدينة وجدة ثم حاصروا تلمسان ثلاثة أشهر وثلاثة أيام وأطلقوا الأيدي في ساحتها بالنهب والسلب[17]، ثم أقلعوا عنها.

وكان من نتائج الهزيمة تغيير في سياسة يغمراسن بن زيان تجاه فاس، حيث كف عن مناوئتهم بعض الوقت، وتوجه شرقا للتوسع في أراضي الدولة الحفصية. وفي سنة 674هـ/ 1275م، تم عقد أول هدنة بين يغمراسن بن زيان وأبي يوسف يعقوب بمبادرة هذا الأخير [18]الذي أرسل سفارة تزعمها حفيده تاشفين بن عبد الواحد في وفد من بني مرين من أجل "وضع أوزار الحرب، فأكرم موصلهم وموصل قومه" [19]، وقد نجحت هذه السفارة في التمهيد لإبرام عقد الصلح، ولتأكيد عقد السلم بعث يغمراسن بن زيان رسل من طرفه من مشيخة بني عبد الواد[20]، والتزم بمقتضاها يغمراسن من خلال عقد الصلح بعدم الاعتداء على الأراضي المرينية، كي يتسنى لأبي يوسف يعقوب تلبية نداء بني الأحمر لصد هجمات قشتالة المتتالية على أرضيهم، وكان لهذا الاتفاق نتائج طيبة على الوجود الإسلامي بالأندلس، كما ساهم في تعزيز التضامن الإسلامي[21].وبناءا على ما تقدم كانت هذه السفارة عام 670هـ/ 1272م أول اتصال بين الدولتين الزيانية والمرينية بعد انقسام المغرب الإسلامي.

وبعد وفاة يغمراسن استهل ابنه أبو سعيد عثمان بن يغمراسن[22] عهده بالصلح، عملا بوصية والده إذ أورد ابن خلدون قال يغمراسن لابنه:" يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية وعلى حضرة

الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا الوفور مددهم، ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها. فإياك واعتماد لقائهم، وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك، وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم يستفحل به ملكك، وتكافئ حشد العدو بحشدك. ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك. فعلقت وصية الشيخ بقلبه، وعقد عليها ضمائره. وجنح إلى السلم مع بني مرين ليفرغ عزمه لذلك"[23].

لهذا اتجهت سياسة عثمان أبو سعيد إلى الطرق الدبلوماسية، ولهذا أوفد سفارة سنة 684هـ/ 1285م إلى السلطان أبو يعقوب وهو بالأندلس، وكانت هذه السفارة برئاسة أخيه عبد الله محمد بن يغمراسن التي رحب بها السلطان المريني، وتم على إثرها إبرام عقد السلم [24]، بعد هذه المهادنة بين الطرفين توجه عثمان بن يغمراسن للإمارات الشرقية الموالية للحفصيين[25].

وفي عام 706هـ/1306م أرسل أبي ثابت حفيد السلطان يوسف بن يعقوب [26]سفارة طالبا فيها الصلح مع الزيانيين لتعلن عن انتهاء الحصار الطويل الذي ضرب على تلمسان من 698هـ/1299م[27]، وهي سفارة تحمل الهشارة لزيانيين الذين ضاقوا الأمرين من هذا الحصار، ولا تشير المصادر إلى السفير الذي تولى إبلاغ الزيانيين بوفاة يوسف بن يعقوب إذ يذكر ابن خلدون كيف تم استقباله قائلا: ...فلما وقف بين يديه قال له: عن يوسف بن يعقوب هلك الساعة، وأنا رسول حافده أبي ثابت إليكم، فاستبشر السلطان واستدعى أخاه وقومه حتى ابلغ الرسول رسالته[28]، ومما طلبه أيضا السلطان المريني خلال هذه السفارة في رسالة طلب المساعدة من الزيانيين، ضد إخوته وحفدة السلطان المريني فما كان من الزيانيين إلا تلبية طلبه مقابل أن يتنازل لهم عن جميع ما استولى عليه السلطان يوسف بن يعقوب[29].

كان أول عمل قام به السلطان الزياني هو تعزيز المدينة حتى تستطيع الثبات في وجه حصار متوقع، فهدم مدينة يوسف بن يعقوب وأصلح ما تهدم من تلمسان وبني الأسوار وحفر الخنادق، وخزن فيها الطعام والملح والفحم والحطب ملا جد ولا حصر، إذ يقول يحي بن خلدون:" وشيد الأسوار وأحفر الخنادق وملأ المطامير والصناديق[30].

و لما أطمأن على ملكه من الناحية الغربية وقام بجميع الاحتياطات في حالة هجوم مفاجئ من هذه الجهة، عمل على استرجاع نفوذه في شرق البلاد فأعاد إلى حضيرتها منطقة الشلف، وجبل وانشريس والمدية وغيرها من المدن[31]. وهكذا يتضح لنا أن هذه السفارة كان لها الأثر جيد في تحسن العلاقات بين الدوليتن، حيث حضيت الدولتين بالسلم، وأمن كل منهما من الحروب والغارات، هذا الاستقرار انعكس على الدولتين فالزيانيون استطاعوا من إعادة بعث الدولة من جديد وتمكنوا من الرجوع كقوة في المنطقة تخضع القبائل المجاورة لها، وفي المقابل استفاد لجانب المريني من فرض الاستقرار في دولته بعد أن تشتت كلمتهم بعد اغتيال والده.

وفي عام 735هـ/1310م بعث السلطان أبو سعيد المريني [32]وفدا إلى أبي عبد الرحمن بن أبي تاشفين الأول يطلب منه الكف عن مهاجمة بلاد افريقية، والإقلاع عن حصار بجاية، حيث كان يجمع بين الدولتين تحالفا خاصة مع المصاهرة التي جمعت الطرفين ، لهذا لما استغاث بهم الحفصيين يطلبون منه دفع خطر بني عبد الواد، هبوا لمساعدتهم وكان ذلك بدون شك فرصة أراد من خلالها من أجل الاستيلاء على المغرب الأوسط، وقد كان جواب عبد الرحمن بن أبي تاشفين بالرفض[33]، وفي تلك الأثناء توفي السلطان السلطان المريني، وخلفه ابنه أبو الحسن [34]،

فأعاد الطلب الذي أقره أبوه شافعا للسلطان الحفصي، فكان رد أبو تاشفين [35] أن قال له:" كف عنهم سنة واحدة ليسمع الناس أني دفعت عن صهري ويقدروا قدري"[36]، وأساء القول لوفد السلطان إذ يقول يحي بن خلدون "أفحش بمجلسه بعض السفهاء في الرد عليهم والنبأ من مرسلهم"[37].

عندئذ غادر السلطان أبو الحسن المريني فاس سنة 735هـ/1335م، واكتسح في طريقه مدن المغرب الأوسط، وجدة، ندرومة، هنين، ولم تكد تنتهي سنة 736هـ/ 1336م، حتى كان السلطان أبو الحسن قد بسط نفوذه على جميع الممتلكات الشرقية لدولة بني عبد الواد، وفي سنة 737هـ/1337م، اقتحم الجيش المريني العاصمة الزيانية وملكها عنوة، وبهذا الانتصار أصبحوا أقوى حكم في المغرب الأوسط وكانوا الورثة الحقيقيين للموحدين[38].

السفارات المتبادلة في عهد أبي حمو موسى الثاني 760–791هـ/1358–1388م

شهد عهد أبي حمو نشاطا واضحا في العلاقات السياسية مع الدولة المرينية باعتبار بأن حكمه كان الأطول مقارنة مع السلاطين الذين كانوا من قبله، وقد شهدت الدولة الزيانية على عهده أوج ازدهارها، وهو ما عكس عودة الزيانيين من جديد و البحث عن الريادة والرئاسة ومعها تجددت الحروب بين الطرفين[39].

في تلك الفترة ما كان يميز الأوضاع الداخلية للمرينيين انهم منقسمين على أنفسهم بالمغرب الأقصى، وأصبحت حامياتهم بالمغرب الأوسط تعيش في جو قلق وارتباك، لا تصلها أمداد من فاس [40].وهو الأمر الذي استغله السلطان أبو يعقوب والد أبي حمو من أجل التوسع في المناطق الشرقية ففي سنة760هـ/1358م خرج بجيش اتجاه المناطق الشرقية، قصد إجلاء بني مرين عنها ونزل البطحاء أياماً[41]، ثم اتخذ طريق وانشريس، حيث التقى القائد المريني يحي بن علي البطيوي وأحلافه من بني توجين[42]، فهزمهم. ثم اعتصم القائد المريني بمليانة[43].

وفي هذه الأثناء، نجحت محاولة أبي سالم بن أبي الحسن [44]وبويع له بفاس، لهذا حاول تحسين العلاقات الزيانية المرينية، فبعث رسولا إلى أبي حمو في شأن الصلح طالبا منه أن يكف عاديته على الحامية المرينية المتمركزة في المنطقة الشرقية[45]، يبدو بان هذه السفارة لم تاتي بنتيجة بدليل انه في نفس السنة ارسل سفارةأخرى.

ظل الصراع على المناطق الشرقية بالدولتين هو المسيطر على العلاقاتو ومن أجل تسوية ذلك ومعرفة رأي الطرف الزياني أرسل سفارة اتفاق تعبر عن الرغبة في التوصل إلى حل حول مسألة المناطق الشرفية لذلك أرسل في نفس السنة السلطان أبي سالم السفير ابن روجي الذي كان من كبار خدامه، يطلب فيها إيقاف الحرب في المناطق الشرقية ويطلب الصلح في شأنها، وبعدها تلتها سفارة أخرى من طرف المرينيين وهي لابن مساهل[46] وكان جواب أبي حمو له:" قد أرسلنا الوزير عبد الله بن مسلم لاقتضاء السلم الذي سألتموه لحصصكم من والدنا، إذ لم تجد المكاتبة ذلكم شيئاً، وصرف بريده"[47].

و مما يمكن أن نستشفه من خلال هذه السفارة يتضح موقف أبي حمو الذي لم يكن راغبا في سلم عاجلا، لأنه كان ينتظر استيلاء جنوده على المنطقة الشرقية لإجراء السلم، ولاشك أن القضاء على الحاميات المرينية في الجهة الشرقية كان يعزز بصفة محسوسة الجانب العبد الوادي أثناء المفاوضات لإقرار السلم بين البلدين حيث كانت تستغله لما ينتج عن ذلك من اتساع رقعة الأراضي الخاضعة للسلطة العبد الوادية ولما يتوفر لدى أبي حمو أثناء تلك العمليات من أسرى يمكن تقديمهم مقابل أسرى بني عبد الواد الموجودين آنذاك عند المرينيين[48].

توجه عيسى بن روح سفيرا سنة 762هـ/1360م من طرف السلطان المريني أبي سالم إلى السلطان أبي حمو الثاني، حسب ما ذكر صاحب زهر البستان أن سبب رغبة أبي سالم المريني من أن أجل تحسين العلاقات بينه وبين أبي حمو، ومن أجل الاتفاق على المناطق الشرقية التي كانت سبب الصراع، إذ يذكر صاحب زهر البستان قائلا: "...إذ أتى الرسول المذكور أول البواعث، فأنزله المولى أبو حمو بدار كرامته... ولما كمل ثلاثة أيام استحضره وسأله عن إتيانه فأخبره.فقال:" عن مولاي أبا سالم بعثني إليك وهو يسلم عليك، يطلب منك الموالاة، والكف عمّا وقع من الشتات، وأنه لم يكن من مراده الحركة على بلادك، وإنما كان ذلك من قبل بني مرين حين رأوا من استدراك...واعلم أن مولاي أبا سالم ليس له إلا ساعة يقطعها في لهو وطرب، ومراح وخلاعة ولعب، وقد أراد أن تكون أيامه أيام سلم ومهادنه... وقد وجهني إليك ولا علم الأكثر الأشياخ بما كان، وقد أودعني سرّاً..."[49].

يبين لنا هذا النص أن طلب الصلح من طرف أبي سالم جاء خفية عن شيوخ بني مرين، بسبب مقتل البعض من أفراد القبائل في المعارك التي كانت بين الدولتين، لهذا اقترح أبا سالم أن يرسل مع سفيره عيسى بن روح أحد أولاد أبي حمو كسفير حتى يظهر أمامهم شيوخ بني مرين رغبته لحقن الدم بين الدولتين، يبدو أن أبا سالم كان يفهم نفسية شيوخ القبائل والتي ما كانت لترضى إلا بأحد كبار أفراد الزيانيين لعلو مكانته. وكان رد أبي حمو قائلا:" ما على وجه المحاسنة وصلاح الإسلام، فأفعل ذلك من غير ملام..."[50]. لما انتهى عيسى بن روح من سفارته، أمر له أبي حمو بإعطائه هدية تتكون من كسوة سنيّة، وكذلك من الذهب[51].

عملا بالاتفاق الذي حدث بينهما أرسل السلطان أبي حمو سفارة ترأسها ابنه أبي تاشفين، في شأن الاتفاق وعلى المصالحة وقد أرسل معه في السفارة وزيره عمران بن موسى نائبا عنه، وقاضي الجماعة بتلمسان احمد بن الحسن شاهدا على ما يسمع به [52]، وأعلام تجلة من عبد الواد [53]وجهزت السفارة بهدية تتكون من مائة حصان من العتاق، وما يرافقها من الذخائر والنفائس [54]. هذا يدل على مدى خطورة المهمة وأهميتها، حيث أوفد كبار الدولة الزيانية وحملهم الهدايا كما تبين نية الطرف الزياني في الصلح وهي توضح الحنكة الدبلوماسية للسلطان أبي حمو من أجل الحصول على رضا شيوخ القبائل .

تم استقبال هذه السفارة بكل حفاوة من طرف السلطان المريني حسب ما تقتضيه المراسيم الدبلوماسية التي كانت آنذاك، وهنا نذكر ما جاء عن صاحب البستان قائلا:" ولما دخل عليه رحب به ترحاب الملوك الكرام وأنسه بالمجلس باللين من الكلام..." [55] ، وذكر يحي بن خلدون أيضا هذا الاستقبال قائلا:" واعد لهم ملك المغرب السلطان أبو سالم لإنزالهم الدور الرحبة والفرش المرفهة والقرى الزيل، واركب للقائهم يوم الوصول أعلام دولته وكبار قبيلته للسلام عليهم كل احتفاله ..." [56]، كان في المجلس كبار شيوخ بني مرين والعلماء، واستهل أبا تاشفين المفاوضات معهم قائلا:" يا أيها الملك السعيد، إن مولاي وجهني للمصالحة والتسديد، والكف عن المفاتنة، والجنوح إلى المهادنة، وأن يكون القبيلان يدا واحدة على الكفار...فإن الصلح مندوب إليه شرعا، والخلاف منهي قطعا، ويد الله مع الجماعة" [57]، بعدها تكلم الفقيه احمد بن الحسن ما ستحسنه الشيوخ، ثم تكلم الوزير عمران بن موسى بما يليق من الكلام، حتى رقت نفوس بني مرين [58]، ثم أخذ السلطان أبو سالم مع بني مرين يلين قلوبهم بالكلام اللين وقال لهم:" يا بني مرين، انظروا ما في السلطان أبي حمو من الرقة واللين، جنح بنفسه للمصالحة والمهادنة والموالاة والمحاسنة مع قدرتنا عليه، فنعم ما فعل وما ندب إليه..."[59].

استطاع أبو تاشفين والوفد المرافق معه في إقناع شيوخ بني مرين بالصلح ، وكان من نتائجه تمكنهم من إطلاق سراح الأسرى من بني عبد الواد، ورجع أبي تاشفين والوزير والقاضي محملين بالهدايا، وأرسل معهم أيضا رسولين وهما: اونزمار بن عريف شيخ قبيلة سويد[60]ومحمد بن النوار، واستقبلوا بحفل عظيم، فرحا لعودة أبو تشفين وكذلك استبشارا لنجاحه في سفارته، إذ يقول صاحب البستان:" فكان لدخوله بروز عظيم، وصيت جسيم، فرحت لذلك الأولياء، وشرقت الأعداء[61].

أنزل الرسولين الذين جاءا من طرف أبي سالم في سفارة ابنه أبو تاشفين، بما يليق بهما، ثم استحضرهما بعد ثلاثة أيام، حيث كانوا يستقبلوا في اليوم الثالث من مجيئهم وهي العادة التي كانت سارية في ذلك الوقت على الأرجح عملا بالسنة النبوية التي تقتضي بإكرام الضيف ثلاثة أيام، إذ قال:(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ)[62].

وقد قدم السفيرين هدية السلطان أبي سالم، على أنها هدية البشارة على هذه الموالاة واخبراها انه سيرد عليه سفيرا من طرف سلطانهم من اجل استكمال شروط الصلح[63].

في أوائل جمادى الثانية من سنة 762هـ/1360م وصل الفقيه أبو القاسم بن رضوان سفيرا عن السلطان أبي سالم، وكان اختيار أبو القاسم بن رضوان بهذه المهمة راجع لأنه كان صاحب الإنشاء و القائم على كتابة العقود، وقد بدأت كتابة شروط المهادنة بحضور الفقهاء الزيانيين وكبار شيوخها والوزراء، وانعقدت شروط المهادنة على الصلح على الحدود القديمة، ماعدا الجزائر ووهران، وعلى هدنة مدتها أربعة أشهر [64]، يبدو بانا السفارة التي يتم إرسالها يجب ان يكون ضمنها فقيه وقاضي وكاتب الانشاء كل هؤلاء له وظيفته التي يقومها فالكاتب الإنشاء من أجل كتابة ما جاء من شروط، والفقيه والقاضي يمثلان العارفين بحقوق الطرفين وبأحكام الشرع، ويكون هذا أمام شهود يمثلون كبار القبائل.

الملاحظ على أنه على الرغم من إبرام معاهدة الصلح إلا انه احتفظ أبو سالم بوهران ولم يرضى تسليمها رغم إلحاح رسله في ذلك، حيث أرسل في أواسط شهر رمضان من نفس السنة الوزير عمر بن عبد الله بن علي الياباني سفيرا، وقد استقبل من طرف أبي حمو وجرت مفاوضات بين الوزير عمر بن عبد الله والوزير الزياني عبد الله بن مسلم وتمسك الطرف المريني على أن وهران والجزائر تم استثنائها في شرط المصالحة وهو الأمر الذي أدى الخلاف بين الطرفين، ورجع السفير في الثاني من يوم عيد الفطر إلى أبي سالم ولم تنجح مفاوضاته مع الوزير ابن مسلم، بل آلت إلى خصام شديد وغادر السفير المريني تلمسان غاضبا[65].

قد جاء عن أبي حمو في واسطة السلوك رواية أخرى عن سبب مجئ السفير عمر بن عبد الله إذ يقول:" وقد اتفق لنا ذلك مع عمر بن عبد الله وزير ملك المغرب أبي سالم حين أرسله إلينا بالجد العازم، والعهد اللازم، ليتحيل بعض الحيل علينا، ويخادعنا بين يدينا، مع قوة سلطانه، ورفيع مكانه...فأنزلناه عند وزيرنا عبد الله بن مسلم لما بينهما من تأكيد متقدم..." [66] ، وبعدها أمر وزيره باختباره فوجده رجلا يريد المكيدة عن طريق إعطاء المال لأهل وهران طلبا لولائهم للمرينيين من دون أبي حمو، ويريد الخديعة على عبد الله بن مسلم حتى يجتذبه إلى جانبه هو وسلطانه، وذلك لما كان تقدم بينهما من المودة والصداقة.

فلما عرف ذلك أبو حمو أخذ يدخله على مجالسه الخاصة، ويتحدث أمامه بما يوهمه أنه من أسراره، فزاد بذلك طمعه، وأبطأ في العودة إلى سلطانه وأبو حمو يطيل بقاءه عمدا لديه، والأخبار ترد على أبي سالم، فتزيد سوء الظن به سوءا، ولما عرف أبو حمو تأكد الحقد بين الطرفين، وانخداع الرسول بتقريب السلطان إليه، أطلق سراحه، فغادره، معاهدا إياه أن يغدر بالسلطان أبي سالم[67]. وهي تكشف هذه السفارة أنه قد يكون السفير جاسوسا، ويعمل من اجل إشعال الفتن ، ولكن في هذه السفارة ولم تنطلي الحيلة على أبي حمو الذي تمكن بفراسته التعرف على حيله، مما استغله في قلب السحر على الساحر وبث الحقد بين السفير وسيده وهو مكان احد الأسباب التي أدت إلى مقتل السلطان أبي سالم كما سنرى فيما بعد.

يبدو بأن سبب تشبث أبو حمو بضرورة استرجاع المدينتين، راجع لما لهما من أهمية في تمكين سلطته على البلاد ولدورها الاقتصادي الهام. لذلك طلب من قائد وهران والجزائر آن يقوما بسحب جيشهما، وان يسلما له المدينتين بموجب ما حدث بين القطرين من المصالحة. [68]

وقد تأزم الوضع من جديد بين الطرفين، فقرر أبو حمو الزحف إلى وهران، وحاصرها ستة أيام، ثم فتحها عنوة، بعد أن قاومتها الحامية المرينية مقاومة شديدة، ثم رجع أبو حمو بعد أن هدم سور القصبة[69].

وفي تلك الأثناء قدم إلى تلمسان الشيخ وانزمار وسليمان بن عامر بن فتح الله، في سفارة من طرف أبي سالم بشأن تسوية الأزمة، وإعادة الصلح بين القطرين، والتزم بإقناع أبي سالم بتسليم الجزائر لأبي حمو.وقد استجاب لذلك أبي سالم وكان رده مع سفيره ابن فتح إذ قال:" سر للسطان أبي حمو وأعلمه أنّا من الجزائر مكّنّاه" [70]، بعدها بعث أبو سالم رسوله سليمان بن عامر إلى قائد الجزائر علي بن يعلي، وشعيب بن وادرار بان يخرجوا منها و تسليمها لأبي حمو[71]، فبعث أبو حمو إلى والده يعقوب بمليانة طالبا منه أن يتوجه إلى الجزائر وان يتخذها مقرا لولايته على المناطق الشرقية، فدخلها في 13 من ذي القعدة منم سنة 762هـ/1360م[72].

وفي 19 من ذي القعدة 762هـ/1360م خلع أبو سالم المريني وقتله وارجع أبي حمو سبب مقتله بسبب سفيره عمر بن عبد الله الذي كان قد توعده سابقا بالغدر بعد انتهائه من سفارته التي وجه إليها إلى أبي حمو إذ يقول:" عاهدنا على أن يغدر بسلطانه، وان يجلس أخاه مكانه... وعندما وصل إلى سلطانه أبي سالم وأدى له رسالته على الواجب اللازم اضمر ما عول عليه من غدره، وأخذ في المحاولة في مكره..." [73]. وقد تلي بعد مقتل أبي سالم فتن واضطرابات في المغرب الأقصى، فأمن أبو حمو عادية بني مرين لمدة واغتنم هذه الفرصة لتوجيه عنايته إلى الناحية الشرقية[74].

نظرا لكثرة الفتن التي ضربت أطنابها في الدولة المرينية مما أضعف شأن العرش المريني، الأمر الذي دعا الوزير المريني عمر بن مسعود، إلى أن يرغب في عقد صلح جديد بين الدولتين . وبعد تبادل عدد من السفارات انعقد الصلح في 15رجب من سنة 763هـ/1361م، وبموجبه أطلق سراح بني عبد الواد الذين كانوا لا يزالون بفاس، إلا أبا زيان بن السلطان أبي سعيد ابن عم أبي حمو ومنافسه في العرش فإنه بقي في السجن [75]. وكان من أثار نجاح العلاقات أن أصهر ومن أجل توطيد العلاقات بين الطرفين أكثر عن طريق المصاهرات حيث أصهر السلطان أبو تاشفين ابنته لأبي حمو[76].

أرسل السلطان أبو حمو في سنة 767هـ/1365م الفقيه أبا عبد الله الشريف الحسني [77] ومحمد بن عمر البريطل رسولين إلى السلطان المريني من أجل عقد الصلح بين الدولتين، ولا تذكر المصادر الغاية من هذه السفارة وعلى الأرجح تدخل في إطار توطيد المودة بين الدولتين. ماعدا نجاحهما في هذه السفارة.

الملاحظ أن العلاقات الزيانية المرينية شهدت نوعا من الاستقرار بداية من سنة 763هـ/1361م، وهي محاولة من السلاطين في جعل تقارب بين الدولتين ونبذ الخلاف لأنه لا يخدم مصلحة الطرفين فاتجها إلى فتح تقارب بينهما من خلال إرسال السفارات وعقد المعاهدات، إلا انه بداية من سنة 771هـ/1369م عاد الصراع بين الدولتين بعد تولي السلطان المريني عبد العزيز الحكم، تجدد الصراع من جديد مع بداية حكم السلطان أبو فارس عبد العزيز [78] بسبب قبائل المعقل الخارجين عن طاعته، فأرسل في شأنهم سفارة تولاها حسون بن علي الصبيحي من أجل طردهم، لكن السلطان أبي حمو رفض طلبه، ورد عليه بأن طرد سفيره حسون، كان رد أبو حمو سببا في تحرك الجيش المريني الذي انتظر خروج أبو حمو من تلمسان مشرقا والتحاقه ببني عامر، في تلك الأثناء انتهز عبد العزيز الفرصة وتوجه إلى تلمسان واحتلها سنة 772هـ/1393م، مما أدى إلى تحرك جيوش عبد العزيز المريني اتجاه تلمسان واستولى عليها في السنة التالية[79].

يتضح من خلال ما سبق ذكره أن طبيعة العلاقات بين الدولتين الزيانية والمرينية كانت في أغلب الفترات يغلب عليها الحروب، بسبب تخوف كل طرف منهم في تحقيق طموحه في الريادة والرياسة والنفوذ في المغرب الإسلامي، وكذلك الاستيلاء على التركة الموحدية، كما كان للتحالفات بين الزيانيين والمريينن مع الحفصيين تارة أخرى مما أججت من الصراع بين الدولتين، إلا أنه على الرغم من هذا الصراع حاول الطرفان عدم غلق جميع منافذ الحوار، وهو ما تجلى في السفارات التي كانت ترسلها كلا الدولتين التي لعبت دورا بارزا في تغيير سياسة الدولتين بتغير مصالحهم وأهدافهم .

جهود العلماء في السفارة بين الدولتين:

مما يلاحظ أن معظم السفارات التي كانت بين الدولتين كانت من نصيب العلماء والفقهاء، بحكم تأثيرهم العاطفي، ولإقناعهم المنطقي، كما التمثيل الذي يقوم به السفير لشخص مرسله أحد أهم الاعتبارات التي دفعت الخلفاء إلى تقديم العلماء في سفاراتهم، لان السفير يعد ممثلا ويفاوض بالنيابة عنه[80] .

لهذا قام العلماء والفقهاء بعدة أدوار في الصراعات السياسية التي شهدها بلاد المغرب الإسلامي، ومن الأدوار التي قام بها العلماء خلال الأحداث والصراعات الخارجية:

– تكليف الفقيه محمد بن مرزوق الجد بسفارة من طرف أبي سعيد، ذلك أنه لما استعاد عرش تلمسان من المرينيين فكر أبو السلطان أبو الحسن في حشد قواته والزحف على تلمسان لاسترجاعها، فرأى السلطان الزياني المخرج في الحل الدبلوماسي فاستدعى ابن مرزوق إذ يقول :" فلما وصلت تلمسان رغب مني سلطانها أبو سعيد عثمان وأخوه أبو ثابت محاولة الصلح مع السلطان أبي الحسن فأقمت بتلمسان ووجهت له فجاء من تونس إلى الجزائر عازما على الصلح"[81]غير أن مهمة ابن مرزوق فشلت بسبب سجنه من طرف أبي ثابت شقيق السلطان أبي سعيد لعدم علمه بهذه المأمورية فغضب على أخيه وعاتبه وأمر بسجن الفقيه ابن مرزوق[82] .

أرجع ابن مرزوق فشل السفارة وسجنه إلى انه لما أرسل كتبه إلى السلطان أبي الحسن سُر السلطان بها وكتب له أبلغ الكتب ولم يكتب لبني عبد الواد فيقول: أنه لما وصلت كتبي دون كتبهم اتهموني وسعى بي من سعى[83].

كما بعث المرينيون سفارة برئاسة السلطان الأمير تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب، ووفد هام من زعماء وفقهاء بني مرين، وقد نجحت هذه السفارة في التمهيد لإبرام عقد الصلح بين الدولتين [84]، ومع الأسف لا تشير المصادر التي بين أيدينا إلى أسماء هؤلاء الفقهاء، ولاشك بأنهم كانوا من كبار العلماء الأجلاء في تلك الفترة.

وفي سنة 763هـ/1361م أرسل الفقيه أبو القاسم بن رضوان رسولا من قبل أبي سالم السلطان إذ ذكر صاحب زهرة البستان الحوار الذي دار بين الرسول ابن رضوان والسلطان أبي حمو أورد قائلا:" ثم قال ابن رضوان المذكور: عن مولاي أبا سالم بع ثم قال له : لك ذلك" [85]، وتمكن بذلك من تحقيق هدنة لمدة أربعة أشهر كاملة ونال كل واحد من الصلح أمله[86].

أورد صاحب البستان في حديث يطول كيف تم إبرام الصلح بين السلطانين أبي زيان محمد بن يعقوب والسلطان أبي حمو، وقد برزت نية حرص أبي حمو لعقد الصلح إذ جاء في زهر البستان على لسان أبي حمو:" نعم ما ذهب إليه أبو زيان، ونعم السجية الأمان من السلطان، هذا رأي يجب أن يساعد عليه شرعا، وينقاد إليه المسلم طوعا، لاسيما ألفة كلمة الإسلام التي هي عمدت الاعتصام" [87]، ومن أجل إبرام شروط الصلح أرسل أبا زيان القاضي والفقيه أبا سالم البرجي [88]أما أبو زيان فعين الفقيه العالم محمد الشريف محمد ابن أحمد الحسني التلمساني وقد أورد صاحب البستان كيف تم ذلك إذ قال:"...فأقام إليه السيد الشريف، وقال" يا أمير المؤمنين، لا احد أنصف من نفسه من أئمة المسلمين، ثم أخذ في الإطناب، وفيما نالاه في إصلاح ذات البين من الثواب، وتطاول الحديث بكلام يليّن النفوس، ويذهب بالبؤس، ثم سكنت همهمة الأصوات، وطمحت الأصوات بالالتفات... "[89].

وهكذا تم عقد الصلح بين الطرفين وتمكن بفضله من فك الأسرى من بني عبد الواد، وكان لهذا الصلح الأثر الكبير على الدولتين وهو ما ذكره لنا صاحب زهر البستان" ولما انصرف الرسولان ورفع الله سبحانه سبب الخلاف والشنان، شاع الخير في الأقاليم، وفرح الخاص والعام بهذا الصلح الدائم..."[90].

عرفت العلاقات الزيانية والمرينية فترات من السلم، حيث كانت تشكل تبادل الهدايا بين الدولتين من أهم المظاهر التي تأكد على رغبتهم في استمرار الصلح وتجديده.

ففي سنة 764هـ/ 1362م أرسل السلطان المريني أبا زيان بن أبي عبد الله سفارة عين عليها الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن الإمام مع الوزير عمر بن عبد الله بن علي، وكانوا محملين بهدية إلى السلطان أبي تاشفين مشتملة على عشرين فرسا مسرجة ملجمة[91].

من أجل تأكيد الصلح بين الطرفين سنة 776هـ/1374م ذكر يحي بن خلدون قائلا:" أرسل أبو حمو الشيخ أبا عمران موسى بن خالد بن محمد إلى ملك المغرب السلطان أبي العباس احمد لتجديد عهد المصادقة وتثبيت عقد السلم فتكمل ذلك وعاد"[92].

وقد وردت في كتب التراجم أسماء لعلماء تولوا السفارة بين الدولتين، لكن النصوص لم تسعفنا لمعرفة أسباب هذه السفارات وظروفها أمثال : محمد بن منصور الغماري الصنهاجي التلمساني الشهير بالأشهب(ت 791/1379) قال تلميذ الإمام ابن مرزوق الحفيد شيخنا: الإمام العلامة من توفي بفاس وقد توجه رسولا إليها من تلمسان في أواخر سنة 781هـ/1389"[93].

- أثر السفارة في توثيق العلاقات بين دول المغرب الإسلامي:

إن السفراء لم يكونوا يكتفون بتبليغ الرسائل وتأدية المهام المنوطة بهم، وإنما يغتنمون فرصة حلولهم بالبلد المبعوثين إليه ليتفرغوا للمناقشة والمناظرة في مجالس وحلقاته، فهذا أبو إسحاق التنسي، كان كلما زار مدينة فاس سواء في مهمة خاصة أو في إطار المهمات الدبلوماسية، التي كانت يقوم بها بين السلطان الزياني والمريني، يجتمع به فقهاء المدينة ويطلبون منه دروسا في الحديث، وقد كان يدرس هذه العلوم بمكة والمدينة، وكان يحضر مجلسه عالم فاس في ذلك الوقت أبو الحسن الصغير وصار يعد من أساتذته بهذه الديار، ترك أبو إسحاق سمعة علمية طيبة في الأقطار التي زارها، وكانت له هيبة عند الفقهاء والأمراء[94].

كان أبو إسحاق كلما زار مدينة فاس سواء في مهمة خاصة أو في إطار المهمات الدبلوماسية، التي كانت يقوم بها بين العاهلين الزياني والمريني، يجتمع به فقهاء المدينة ويطلبون منه دروسا في الحديث، وقد كان يدرس هذه العلوم بمكة والمدينة، وكان يحضر مجلسه عالم فاس في ذلك الوقت أبو الحسن الصغير وصار يعد من أساتذته بهذه الديار، ترك أبو إسحاق سمعة علمية طيبة في الأقطار التي زارها، وكانت له هيبة عند الفقهاء والأمراء،[95] فقد قال عنه السلطان المريني أبو يعقوب: "ما صافحني أحد قط إلا أحست بارتعاش يده لهيبة السلطان، إلا الفقيه أبو إسحاق التنسي، فعندما يصافحني تدركني منه مهابة فكانت يدي ترتعش من هيبته"[96].

من عادة السلاطين حبهم للمحاورة مع السفراء وذكر ابن مرزوق في المسند الحوار الذي كان بينه وبين السلطان أبي الحسن إذ قال:" قدمني رسولا مع الوزير أبي عمران موسى بن إبراهيم بن عيسى الزياني إلى بجاية لان يعرض على الأمير أبي عبد الله الأمير أبي زكرياء يحي ابن السلطان أمير المؤمنين أبي يحي أبي بكر ما أمرنا بإنهائه إليه، فوصلنا بجاية وكان بيننا وبينه من الحديث ما كان عرض لنا فقهاؤها وصلحاؤه، ومن الأمثلة على انتهاز الطلبة لقدوم العالم في سفارة ما ذكره المقري قائلا:"... فقد ورد فاسا شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحي الباهلي عرف بابن المسفر، رسولا عن صاحب بجاية، فزاره الطلبة، فكان فيما حدثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاما وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين، وستشكله الشيخ معه من وهذا نصه ... فرجعوا به إلى الشيخ الآبلي فتأمله ثم قال: هذا كلام مصحف".[97]

وقد بلغ اهتمام السلاطين بالعلماء أن أرسل السلطان أبو عنان سفارة من أجل إحضار الآبلي، وخلال قدومه إلى فاس" مر ببجاية ودخلها، وأقام بها شهرا، حتى قرأ عليه طلبة العلم بها مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه برغبتهم في ذلك ومن صاحب الأسطول"[98] .

الخلاصة:

من الأهمية بمكان الإشارة أنه على الرغم ما ميز العلاقات بين الدولتين الزيانية والمرينية هو الصراع المحتدم بينهما، إلا أن ذلك لم يمنع سلاطينها في خضم هذه الأوضاع السياسية المضطربة، بالاهتمام بتخفيف حدة الصراع وهو ما تجلى في عنايتهم بالجانب الدبلوماسي وأولوا عناية بمنصب السفير لأداء المهمات بالنيابة عنهم وهو ما يفسر سبب اختيارهم للعلماء لأداء المهمات، وقد برز دورهم في نجاحهم في أغلب سفاراتهم من خلال إبرامهم لشروط الصلح والمعاهدات، كما انعكست هذه السفارات على الجانب الثقافي لدول المغرب الإسلامي من خلال تبادل المؤلفات وحلقات العلم التي كان يعقدها العلماء فساهم ذلك في تنشيط الحركة العلمية بين الحواضر فاس وتلمسان و تونس.

الهوامش:

1–عذال إبراهيم حسين، بعض سفارات العلماء في عصر الحروب الصليبية من خلال كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العدد العاشر، المجلد 19، 2012، ص326.

2–الماوردي– نصيحة الملوك– تحقيق خضر محمد خضر– مكتبة الفلاح–د–ن –ط1– 1983– ص276.

عذال إبراهيم حسين– المرجع السابق– ص363.–3

4–يخلف حاج عبد القادر– العلاقات الخارجية للدولة الزيانية– مجلة عصور الجديدة العدد الثاني– الجزائر– 2011– ص146.

5–الخليفة الرشيد:هو عبد الواحد بن المأمون أبي العلاء بن إدريس بن يعقوب المنصور بالله– المكنى أبو محمد وتلقب بالرشيد– كانت خلافته عشر سنين – توفي في مراكش سنة 640هـ. ابن أبي دينار محمد– المؤنس في أخبار افريقية وتونس– دار المسيرة– بيروت– ط3– 1993– ص 148– 149./ ابن سماك العاملي– الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية– تحقيق عبد القادر بوباية– دار الكتب العلمية– بيروت–ط1– 2010– ص 253/ . ابن عذارى المراكشي– البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب– قسم الموحدين– تحقيق محمد إبراهيم الكتاني–محمد بن تاويت– محمد زنبير– عبد القادر زمامة– دار الغرب الإسلامي–دار الثقافة– بيروت–د . ت– ص ص299/ ابن خلدون– ديوان العبر والمبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر– وضع الحواشيو الفهارس خليل شحادة– مراجعة سهيل زكار– دار الفكر– بيروت– 2000– ج6– –ص 242.

6–أبو دبوس:هو أبو العلاء إدريس تلقب بالواثق بالله والمعتمد عليه– لقب بأبو دبوس لأنه كان في بلاد الأندلس لا يفارق الدبوس– فشهر به– عرفت فترته الكثير من الفتن لكثرة المخالفين عليه– توفي بمراكش سنة 668هـ/ ...م بوفاته انقرضت دولة الموحدين.ابن السماك العاملي– المصدر السابق– ص257–258.

7–بكاي هوراية– العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا– رسالة ماجستير غير منشورة– جامعة تلمسان– الجزائر–2007–2008– ص190

8–معركة وادي تلاغ: يقع واد تلاغ بالقرب من واد ملوية ،كان سبب هذه المعركة أنه لما نزل السلطان يعقوب بن عبد الحق، حضرة مراكش من أجل الاستيلاء عليها، لم يجد أبو دبوس إلا يغمراسن ليساعده فبعث إليه سفارة محملة بالهدايا تدعوه لإنقاذه، فقام يغمراسن بشن الغارات على ثغور المغرب، مما أدى زحف يعقوب بجيوشه اتجاه يغمراسن فالتقى الجيشان في واد تلاغ ، انهزم فيها يغمراسن وقتل فيها ابنها حفص عمر، والكثير من كبار الدولة.ينظر: عبد الرحمن – العبر– ج7– المصدر السابق– ص115./ ابن الأحمر– تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان– تحقيق وتعليق هاني سلامة– ط1– مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع– مصر– 2001– ص 66.

9–يعقوب بن عبد الحق: هو أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، لقب بالقائم لأمر الله والمنصور به، بويع سنة 656هـ/1257م، دفن بشالة بسلا سنة 685هـ/1286م.ينظر: ابن السماك العاملي– المصدر السابق– ص 261–264./ ابن الأحمر– روضة النسرين– المصدر السابق– ص 17–20.

10–أنكاد:تقع بين مدينة وجدة ونهر ملوية يخترقها نهر ايسلي. التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان– تحقيق وتعليق محمود آغا بوعياد– دار موفم للنشر– الجزائر– 2011– ص248./ ياقوت الحموي– معجم البلدان– دار صادر– بيروت– 1977– مج1– ص 272.

11–ابن خلدون– العبر– ج 6– ص244

12–بكاي هوارية– المرجع السابق– ص 194

13–بن أبي زرع الفاسي– الذخيرة السنيّ في تاريخ الدولة المرينية– دار المنصور– د–ت–ص130.

14–االمبارك الميلي – الجزائر في القديم والحديث– المؤسسة الوطنية للكتاب– د–ت– ج2– ص 422.

15–مغراوة: إحدى بطون زناتة، ينتسبون إلى مغراو بن يصلتين بن مسر بن زاكيا بن ورسيك الديرت بن جانا إخوة بني يرنيان، أما شعوبهم وبطونهم فكثير مثل بني يليث وبني زنداك وبني رواو...وكانت محلاتهم بأرض بالمغرب الأوسط من شلف الى تلمسان إلى جبل مديونة ينظر: ابن خلدون– العبر– ج7– ص33–38.

16–بكاي هوراية– المرجع السابق– ص 194.

17–لمرجع نفسه– ص194– الميلي محمد المبارك– المرجع السابق–ج2– ص422.

18–مكيوي محمد– العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول(633هـ – 1236م/ 737هـ –1337م)– رسالة ماجستير غير منشورة– جامعة تلمسان– الجزائر– 2007–2008– ص 82.

19–بن خلدون– العبر– ج6– ص254.

20–المصدر نفسه– ص254

21–مكيوي محمد– المرجع السابق– ص 82.

22–أبو سعيد عثمان بن يغمراسن: ولد السلطان ابو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 639هـ/1241م، بويع بعد وفاة والده سنه 681هـ/ 1283م. ينظر التنسي محمد بن عبد الله الجليل: نظم الدر و العقبان في بيان شرف بني زيان – تحقيق وتعليق محمد بوعياد– دار موفم للنشر– الجزائر– 2011– ص 129./ يحي بن خلدون يحي بن خلدون– بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد– تحقيق عبد الحميد حاجيات– دار الطباعة الشعبية للجيش– الجزائر– 2007– ج1–ص 208–209.

23–ابن خلدون– العبر– ج7– 123

24–لمصدر نفسه– ص123./ عبد الهادي تازي– التاريخ الدبلوماسي من اقدم العصور الى اليوم–مطابع فضالة– المحمدية– 1988– مج7– ص10./ سليمان ولد خسال– جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الاسلامي بين 633–922هـ – رسالة دكتوراه غير منشورة– جامعة الجزائر– ص 331

25–ابن خلدون– المصدر السابق– ص123./ بكاي هوارية– المرجع السابق– ص126

26–بو يعقوب المريني: هو الأمير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر ولد سنة642هـ/1244م– يكنى بابي يعقوب وتلقب بالناصر لدين لله، كان عهده عهد استقرار للدولة المرينية وتمكن من أن يوسع من حدود المغرب الأقصى ويخضع المغرب الأوسط وضرب حصار طويل على تلمسان، توفي مقتولا سنة 706هـ/1306م. ينظر، أبو الوليد ابن الأحمر– روضة النسرين في دولة بني مرين – المصدر السابق–ص 21./ عبد الرحمن بن خلدون– العبر–ج7– ص125– 130. الناصري أبو العباس– الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى– تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري– دار الكتاب– الدار البيضاء– 1997– ج3– ص 66– 86. /ينظر– نظال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي– الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني685هـ–706م/1286–

1306م– رسالة ماجستير غير منشورة– جامعة الموصل– العراق– 2004– ص16– 18/ إبراهيم حركات– المغرب عبر التاريخ– ط1 – دار الرشاد الحديثية– الدار البيضاء– المغرب– ج2 – 1978– ص17.

27–حاصر يوسف بن يعقوب المريني مدينة تلمسان من سنة 698هـ/1298م إلى سنة706هـ/1306م – كان لهذا حصار كان له وقع شديد على سكان مدينة تلمسان، بحيث أحاط العسكر بها من جميع جهاتها، وضرب عليها سياجا من الأسوار، واختط مدينة إلى جانبها، ليأخذ بمخنقها فنال سكان مدينة تلمسان من الجهد والجوع، ما لم ينل أمة من الأمم، إذ يقول ابن خلدون فاضطروا إلى" أكل الجيف والقطط، والفئران وأشلاء الموتى"وارتفعت أسعار والحبوب والخضر حتى استهلك الناس أموالهم ومدخراتهم وضاقت أحوالهم فكان الهالك بالجوع أكثر من الهالك بالقتل"، وأطلق المرينيون أيديهم على المنازل "نهبا واكتساحا"، وأصدروا أمرا بقتل كل من يدخل بضاعة أو مواد غذائية إلى مدينة تلمسان، فتضرر السكان في داخلها، لانعدام الأقوات باستنفاذ المخازن، فلم يطق السكان تحمل هذه المجاعة فمات منهم خلق كثير، ينظر: ابن خلدون– العبر– ج7– ص129–130/ التنسي– المصدر السابق– ص132./ ابن الأحمر– تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان– المصدر السابق– ص69.

28–بن خلدون– ج6– ص129– 130.

29–التنسي– المصدر السابق– ص135 ./ مكيوي محمد– المرجع السابق– ص 99.

30–يحي بن خلدون– ج1– المصدر السابق– ص112.

31–التنسي– المصدر السابق– ص 135–138/ مكيوي محمد– المرجع السابق، ص97.

32–بو سعيد المريني: هو عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، يكنى أبو سعيد دام حكمه 21سنة، توفي سنة 731هـ/1330م.ابن الأحمر–روضة البستان– المصدر السابق– ص 23–24.

33–مكيوي محمد– المرجع السابق– ص107.

34–بو الحسن المريني: هو السلطان المريني علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق الملقب يكنى بأبي الحسن يلقب بالمنصور بالله، بويع بعد أبيه سنة 731هـ/1330م وتوفي عام 752هـ/1351م، ودفن بشالة، كان ضخم الملك، متسع السلطان، ملك تلسمان، وتونس وسائر بلاد افريقية، ابن الأحمر أبو الوليد، روضة النسرين– المصدر السابق– ص 25– 26./ ابن مرزوق محمد – المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن– دراسة وتحقيق مريا دي خيسوس دي بيغيرا– تقديم محمود بو عياد– الشركة الوطنية لبشر و التوزيع– الجزائر–1918– ص 125–126. الناصري– الاستقصاء– المرجع السابق – ج3– ص 153، 154.

35–أبو تاشفين عبد الرحمن الأول:هو ابن السلطان أبو حمو موسى الأول، بويع له بالحكم بعد مقتل والده سنة718هـ/1318م، في عهده عرفت الدولة العبد الوادية أوج ازدهارها، فنشطت فيها الفنون والصناعات، واتسع العمران، كانت سياسته ترمي إلى متابعة التوسع في الناحية الشرقية، قتل من طرف أبو الحسن المريني أثناء دخوله تلمسان سنة 737هـ/1336م، ينظر: يحي بن خلدون– المصدر السابق–ج1– ص215./التنسي– المصدر السابق– 141–148.

36–الناصري– الاستقصا– المرجع السابق– ج3– ص224.

37–حي بن خلدون–ج1– المصدر السابق– ص218.

38–المصدر نفسه– ص110.

39–شريخي نبيل– دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجري(14–15)– رسالة ماجستير غير منشورة– المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة– الجزائر– 2009–2010– ص23.

40–حاجيات عبد الحميد– أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره– عالم المعرفة للنشر والتوزيع– الجزائر– 2011– ص95.

41–البطحاء:مدينة بنواحي شلف شمالا شرقيا من–غليزان– قام بإعادة بنائها عبد المؤمن بن علي سنة 555هـ/1160م، إذ يقول ابن أبي زرع: " أنه لما طالت بالموحدين الإقامة بالمشرق والتغرب عن أولادهم وأوطانهم عزمت طائفة منهم على قتل عبد المؤمن والفتك به في خبائه إذا نام، وتوافقوا على ذلك فأتى شيخ ممن علم الأمر إلى عبد المؤمن فأخبره الخبر قال له: دعني أبت الليلة في موضعك، فبات في فراشه فاستشهد فلما أصبح وصل عبد المؤمن افتقده فوجده مقتولا، فأخذه وحمله بين يديه على ناقته لا يقودها أحد فسارت

الناقة يمينا وشمالا حتى بركت وحدها، فأمر عبد المؤمن بالشيوخ فانزل عنها... وحفر قبره فيه ودفن وبنيت عليه قبة وبناء بإزاء القبة جامعا ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد، وترك بالمدينة عشرة من كل قبيلة من قبائل العرب". ابن أبي زرع الفاسي– الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس– دار المنصور للطباعة والوراقة– الرباط– المغرب– 1972– ص200–201./ المبارك الميلي– المرجع السابق– ج2– ص 333– .334

42–نو توجين: عرفهم ابن خلدون بأنهم من شعوب بن ياديين من أهل الطبقة الثالثة من زناتة ، مواطنه من واد شلف قبلة جبل الونشريس من أرض سرسو، وكان بأرض السرسو بطون لواتة فغلبهم بنو عليها بنو وجديجن ومطاماطة، ثم صارت أرض السرسو لبيني توجين واستضافوهم إلى مواطنهم الأولى وصارت مواطنهم مابين بني راشد وجبل دراك ينظر:ابن خلدون– العبر–ج7– ص205–214.

43–مليانة: مدينة قديمة بناها الرومان، جددها زيري بن مناد واسكنها ابنها ابنه بكلين، تقع على سفح جبل –زكار– تحيط بها الأشجار. البكري أبو عبيد– المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب– دار الكتاب الإسلامي– القاهرة– د–ت– ص 61./ الوزان حسن– وصف إفريقيا– ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر– ط2– دار الغرب الإسلامي– بيروت– 1983– ص34

44–لسلطان أبو سالم: هو إبراهيم بن أبي الحسن، يكنى بأبي سالم، لقبه المستعين ولد عام 735هـ/1334م، بويع عام 760هـ/1358م، وكانت دولته سنتين وثلاثة أشهر وأربعة أيام. ابن الأحمر أبو الوليد– روضة النسرين– المصدر السابق– ص30.

45–حاجيات عبد الحميد– المرجع السابق– ص95.

46–يحي بن خلدون– المصدر السابق–ج2 – ص55– 56.

47–المصدر نفسه– ص.56

48–حاجيات عبد الحميد– المرجع السابق– ص96.

49–زهر البستان– المصدر السابق–ج2– ص131– 132.

50–المصدر نفسه– ص132.

51–المصدر نفسه– ص132.

52–المصدر نفسه ص133.

53–يحي بن خلدون– المصدر السابق–ج2 – ص 86.

54–المصدر نفسه– ص132– 133.

55–المصدر نفسه– ص133.

56–المصدر نفسه– ص 86.

57–زهر البستان–المصدر السابق–ج2– ص133 –

58–المصدر نفسه– ص133. –

59–المصدر نفسه– ص134. –

60–قبيلة سويد: تنسب إلى سويد بن عامر بن مالك، كان أول ظهورها في المغرب الأوسط تحالفت مع قبائل بني يادين فاستطاعوا من تكوين خلف قوي أن يسيطروا على تلول المغرب الأوسط ويخضعوا قبائله، استطاع يغمراسن أن يضمهم بحسن معاملته، واقطعهم البطحاء والسرات، كان لقبيلة سويد عدة أدوار في تاريخ المغرب الإسلامي.ينظر: ابن خلدون– العبر– ج6– ص59–67.

61–زهر البستان– المصدر السابق–ج2– ص135. –

62–البخاري أبو عبد الله– صحيح البخاري– تقديم أحمد محمد شاكر– مكتبة عباد الرحمن– مصر–2011–ص 740. –

63–زهر البستان– المصدر السابق–ج2– ص135. –

64–المصدر نفسه – ص136.

65–حاجيات عبد الحميد– المرجع السابق–ص 102/ زهر البستان–المصدر السابق–ج2– 138. –

66–أبو حمو الزياني– واسطة السلوك– المصدر السابق– ص 248. –
67–وداد القاضي– "النظرية السياسية للسلطان أبي حمو الزياني الثاني ومكانها بين النظريات السياسية المعاصرة"– مجلة الأصالة – السنة الرابعة– العدد 27–الجزائر– 1975– ص 24./ أبو حمو الزياني– واسطة السلوك– المصدر السابق ص 248– 249
68–حاجيات عبد الحميد– المرجع السابق– ص 102.
69–هر البستان– المصدر السابق–ج2– ص140./ يحي بن خلدون–ج2– المصدر السابق– ص 87./ حاجيات عبد الحميد– المرجع السابق– ص103.
70–زهر البستان– المصدر السابق–ج2– ص 146 –
71حاجيات عبد الحميد– المرجع السابق– ص 103.
72زهر البستان– المصدر السابق– ج2– ص147./ حاجيات عبد الحميد– المرجع السابق– 103.
73–ابو حمو الزياني– واسطة السلوك– المصدر السابق– ص 249.
74–حاجيات عبد الحميد– المرجع السابق– ص103
75–المرجع نفسه– ص104–
76–زهر البستان– المصدر السابق–ج2– ص248.
77–أبو عبد الله الشريف الحسني: وهو أبو عبد الشريف محمد بن أحمد الشريف الحسني، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن علي بن أبي طالب ويعرف بالعلوي نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان ، ولد سنة 710هـ/ 1310م. نشأ بتلمسان وقرأ القرآن وتفقه على خيرة علماءها من لمثال ابني الإمام وأبا عبد الله الآبلي، وصفه ابن خلدون بأنه فارس المعقول والمنقول، وصاحب الفروع والأصول توفي سنة 771هـ/.1388م التنبكتي: نيل الابتهاج– المصدر السابق– ص589.. ابن خلدون– العبر–ج7– ص536–537.
78–عبد العزيز بن أبي الحسن يكنى أبو فارس تولى بويع بالحكم سنة 767هـ/1365م، حكم مدة ستة أعوام وتوفي سنة 774هـ/1372م. ابن الأحمر، روضة النسرين المصدر السابق، ص 33/ ابن القاضي المكناسي أحمد– جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس– دار المنصور للطباعة والوراقة– الرباط– المغرب– ج2– 1973– ص 449–450.الناصري– الاستقصا– ج4– ص 59.
79–وداد القاضي– المرجع السابق– ص24
80–عذال إبراهيم حسين– بعض سفارات العلماء– المرجع السابق– ص326.
81–ابن مرزوق– المناقب المرزوقية– المصدر السابق– ص307.
82–التنبكتي: نيل الابتهاج – المصدر السابق– ص451./ ابن مريم– البستان– المصدر السابق– ص308.
83–محمد بن مرزوق التلمساني– المصدر السابق– ص497.
84–سليمان ولد خسال– المرجع السابق– ص331.
85–مجهول زهر البستان– المصدر السابق– ص 135، 136.
86–المصدر نفسه، ص136.–
87–مجهول، زهر البستان،ج2، ص182/ يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج2، المصدر السابق، ص98،99
88–أبو سالم البرجي: الكاتب القاضي أبو القاسم محمد بن يحي البرجي، وهو من برجة الأندلس كان كاتب السلطان أبي عنان، وصاحب الإنشاء والسر في دولته وكان مختصا به، برز في النظم والنثر، عالم في الإقدام على الخلفاء، ممن تقدمت له الخدمة مع الاعيان والشرفاء. ابن خلدون، العبر،ج7، ص537،538./ مجهول، زهر البستان، ج2، ص182./ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ص238
89–مجهول، زهر البستان، ج2، المصدر السابق، ص185،186.
90–المصدر نفسه– ص185.

91–يحي بن خلدون– بغية الرواد– ج2– ص125.
92–المصدر نفسه– ص 128.
93–ابن مريم– البستان– المصدر السابق– ص252.
94–نعيمة بوكريمي– الانشغالات العلمية لعلماء تلمسان بفاس خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع العشر ميلادي– مجلة كان التاريخية– العدد الرابع عشر – 2011– ص 45.
95–مبخوت بودواية وهوراية بكاي– "العلاقات الثقافية بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرنين7–9 الهجريين"– مجلة الفسطاط الالكترونية– د– ت.
96–عبد العزيز فيلالي – المرجع السابق –ج2 – ص330[1]
97–المقري– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب– تحقيق إحسان عباس– – دار صادر بيروت– 1988– مج5– ص246.. –
98–ابن خلدون– العبر– ج7– ص521. -